

الإيمان بالله تعالى باعث على الحركة والنشاط والسعي

كان إيمان الصديق بالله عظيماً، فقد فهم حقيقة الإيمان وتغلغلّت كلمة التوحيد في نفسه وقلبه، وانعكست آثارها على جوارحه، وعاش بتلك الآثار في حياته، فتجسّى بالإخلاق الرفيعة، وتطهر من الأخلاق الوضيعة، وحرص على التمسك بشرع الله والابتداء بهدية صلي الله عليه وسلم، وكان إيمانه بالله تعالى باعثاً له على الحركة والهمة والنشاط والسعي، والجهد والمجاهدة، والجهاد والترقية، والاستعلاء والعزة، وكان في قلبه من اليقين والإيمان شيء عظيم لا يساويه فيه أحد من الصحابة، فقال أبو بكر بن عباس: ما سبقهم أبو بكر بكثرة صلاة ولا صيام ولكن يشيء وفر في قلبه، ولهذا قيل: لو وُزِنَ إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح، كما في السنن عن أبي بكره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «هل رأى أحد منكم رؤياً؟» فقال رجل: أنا رأيت كأن ميزاناً نزل من السماء فوزنت أنت وأبو بكر فخرجت أنت بأبي بكر، ثم وُزِنَ أبو بكر وأبو بكر فخرج أبو بكر، ثم وُزِنَ عمر وعثمان فخرج عمر، ثم رفع الميزان، فاستأه لها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «خليفة نبوة، ثم يؤتى الله الملك من يشاء».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح، ثم أقبل على الناس فقال: «بينما رجل يسوق بقرة له قد حمل عليها الثلثت إليه البقرة، فقلت: إني لم أخلق لهذا، ولكني خلقت للحرث، فقال الناس: سيحان الله! (تعجباً وفرحاً) أبقرة تتكلم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني أؤمن به وأبو بكر وعمر، قال أبو هريرة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وبينما رجل في غنمه إذ عدا النشأ فقتل منها بشاة، فطلب حتى كانه استنقذها منه، فقال له الذئب: هذا استنقذتها مني، فمن لها يوم السبع، يوم لا راعي لها لغيري؟ فقال الناس: سيحان الله، ذئب يتكلم؟ قال صلى الله عليه وسلم: إني أؤمن بذلك أنا وأبو بكر وعمر وما هما ثم»، ومن شدة إيمانه والتمزاه بشرع الله تعالى وصفه وإخلاصه للإسلام أحبه النبي صلى الله عليه وسلم، وأصبحت تلك الحبة مقدمة عند النبي صلى الله عليه وسلم على غيره من الصحابة.

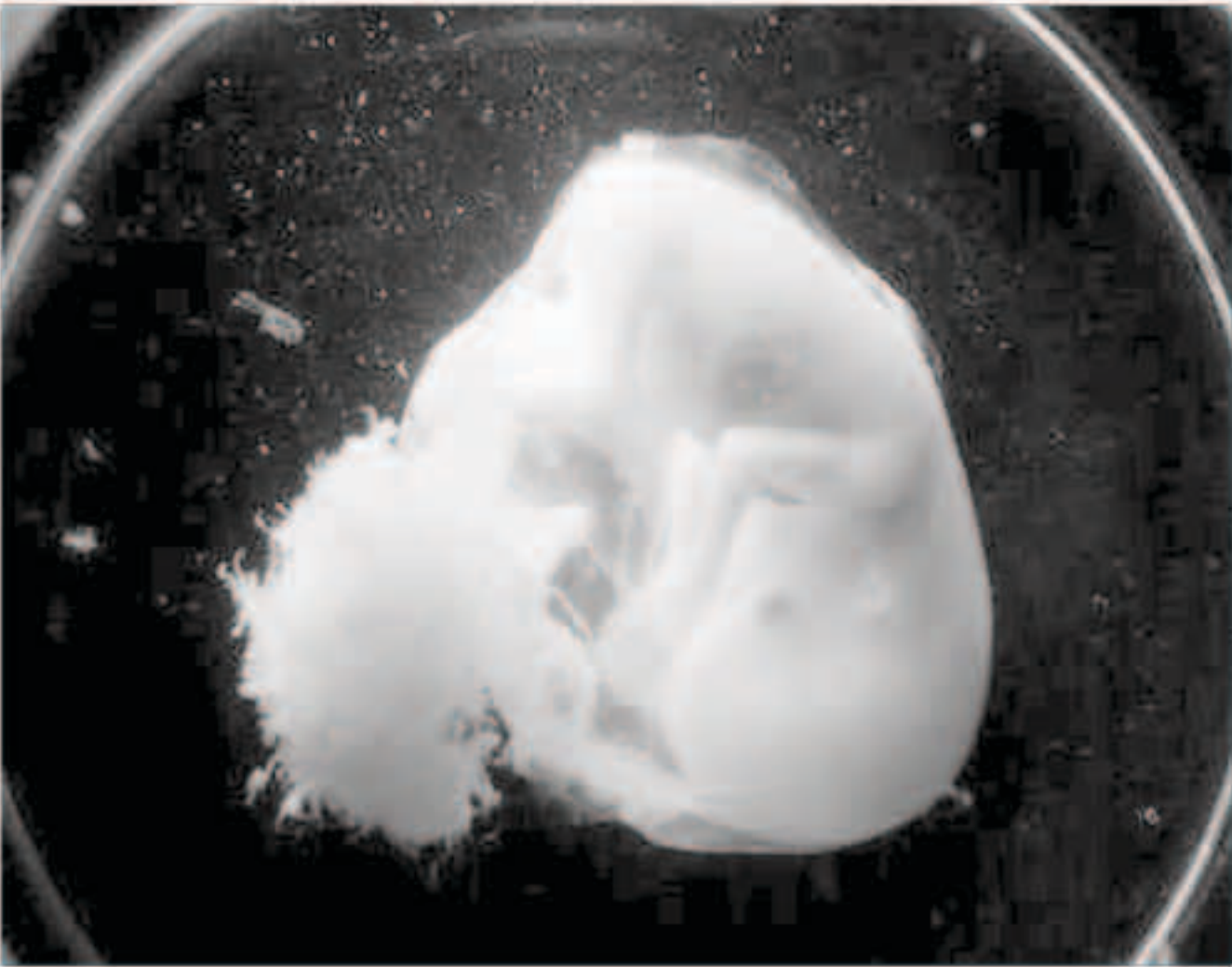
فعن عمرو بن العاص رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه على جيش ذات السلاسل، فقال: غاتيتك فقلت: إي الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة»، فقلت: من الرجال؟ قال: «أبوها»، قلت: ثم من؟ قال: «عمر بن الخطاب»، فعدرجا.

وبسبب هذا الإيمان العظيم والتمزاه بشرع الله القويم ولجهوده التي يبذلها لنصرة دين رب العالين استحق بشارة رسول الله بالجنة، وأنه يدعى من جميع أبوابها، فعن أبي موسى الأشعري أنه توضأ في بيته ثم خرج، فقلت: لألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاكون من معه يومى هذا، قال: فجاء المسجد فسأل عن النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: خرج ووجه ها هنا، فخرجت على إثره أسأل عنه حتى دخل بئر أريس، فجلست عند الباب وبابها من جريد حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته فتوضأ، فقلت إليه، فإذا هو جالس على بئر أريس وتوسط فلها وكشف عن ساقيه ودلأهما في البئر، فجلست عليه ثم انصرفت فجلست عند الباب، فقلت: لأكونن بواب رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم، فجاء أبو بكر فدفع الباب، فقلت: من هذا، فقال: أبو بكر، فقلت: على رسلك، ثم دعيت فقلت: يا رسول الله، هذا أبو بكر يستأذن، فقال: «أذن له ويشره بالجنة»، فاقبلت حتى قلت لأبي بكر: ادخل ورسول الله يبشرك بالجنة، فدخل أبو بكر فجلس عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم معه في الغف ودلى رجلبيه في البئر كما صنع النبي صلى الله عليه وسلم وكشف عن ساقيه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أنفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله دعى من أبواب الجنة) يا عبداً هذا خير»، فمن كان من أهل الصلاة دعى من تلك الأبواب كلها؟ قال: «نعم، وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر».

«يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ»

الإعجاز القرآني.. خلق الجنين في أطوار



■ الآيات قررت

أن الإنسان يمر خلال تخلقه بمراحل متتابعة وهو ما كشفت عنه دراسات علم الأجنة الحديث

آيات الإعجاز: قال الله تعالى: «يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثَ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَجُّكُمْ لَهُ لَللَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَى تُصْرَفُونَ».

أحاديث الإعجاز: عن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «إذا من بالطفلة ثنتان وأربعون ليلة يبعث الله إليها ملكاً، فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدتها ولحمها وعظامها ثم قال: يا رب أنكر أم أنثى، فيقضي ربك ما شاء، ويكتب الملك» رواه مسلم في كتاب القر.

فهم المفسرين: قال ابن كثير في تفسيره: «قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: «من تحلّطه أمشاج» يعني ماء الرجل وماء المرأة إذا اجتماعا واختلطا ثم ينتقل بعد من طور إلى طور ومن حال إلى حال ومن لون إلى لون».. فهم علماء الحديث: قال الإمام ابن قيم الجوزية -رحمه الله تعالى- في كتابه «طريق الهجرتين»: «إن للملك ثلاثة ومراعاة بحال النطفة، وأنه يقول: يا رب، هذه نطفة، هذه علقة، هذه مضغة، في أوقاتها، فقل وقت يقول فيه ما صارت إليه بأمر الله.. وهو أعلم بها، ويكلم الملك، فتعزّفه (أي الملك) في أوقات، أحدها حين يخلقها الله نطفة ثم ينتقلها علقة، وهو أول أوقات علم الملك بانه ولد».

مقدمة تاريخية: منذ أن لخص أرسطو النظريات السائدة في عصره والمتعلقة بتخلق الجنين، استمر الجدل بين أنصار نظرية الجنين الكامل القزم الموجود في ماء الرجل وبين أنصار نظرية الجنين الكامل القزم الموجود في بويضة المرأة، ولم ينته أحد من الفريقين إلى أن كلا من حوين الرجل وبويضة المرأة يساهمان في تكوين الجنين، وهو ما قال به العالم «سبالانزاني» (Spallanzani) سنة 1775م.

وفي عام 1783 تمكن فان بندن (Van Beneden) من إثبات هذه الفقولة وهكذا تخلّت البشرية عن فكرة الجنين القزم.

حقائق علمية: في عام 1775م قدم «سبالانزاني»

(Spallanzani) نظريته التي تقول بأن كلا من الحوين للنوي للرجل وبويضة المرأة يساهمان في تكوين الجنين البشري حيث يقوم الحوين بتخصيب البويضة التي تبدأ بعدها بالانقسام لتتكون الخلايا الأولى للجنين.

التفسير العلمي: يقول الله سورة الزمر: «يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثَ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَجُّكُمْ لَهُ لَللَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَى تُصْرَفُونَ».

لقد جاء القرآن الكريم بحقائق عن خلق الإنسان لم تكن البشرية قد عرفتها بعد، ومن أهم هذه الحقائق تقرير أن خلق الإنسان لم يكن دفعة واحدة وإنما مر بمراحل مختلفة تدرج فيها الجنين

البشري من النطفة إلى العلقة إلى المضغة إلى تكون العظام ثم كساء العظام بالحلم ثم اكتمال الخلق. ورغم بداهة هذه الحقيقة العلمية عند علماء الأجنة اليوم إلا أنها ظلت منذرة عبر قرون متطوالة من عهد الفراعنة واليونان القدماء، مروراً بالحضارة العربية الإسلامية وإنشاء بعصر النهضة واكتشاف الميكروسكوب.

فقد تعددت التصورات والنظريات، ف أرسطو قال بأن الإنسان يتكون من دم الحيض وقد سيطرت هذه النظرية على العقل البشري زماناً طويلاً، ثم جاء الاعتقاد بأن الإنسان يكون مخلوقاً خلقاً تاماً في حوين الرجل، بينما اعتقد فريق آخر من

العلماء أنه يُخلَق في صورة قزم في بويضة المرأة.

ولقد كان استخدام الوسائل العلمية التقنية عائقاً حال دون تقدم العقل البشري في هذا الموضوع.

واستمر الجدل العلمي قائماً حتى سنة 1775م حينما اعتبر «سبالانزاني» بأن كلا من حوين الرجل وبويضة المرأة يساهمان في تكوين الجنين البشري حيث يقوم الحوين بتخصيب البويضة التي تبدأ بعدها بالانقسام لتتكون

الخلايا الأولى للجنين. وهكذا لم يتخل العلم التجريبي عن فكرة القزم البشري حتى أواخر القرن الثامن عشر، في حين أن القرآن الكريم قد أشار إلى ذلك صراحة قبل أحد عشر قرناً فقال

■ ظلت المعلومة

مندثرة عبر قرون منذ عهد الفراعنة واليونان مروراً بالحضارة الإسلامية وانتهاء بعصر النهضة

سبحانه وتعالى: «يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثَ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَجُّكُمْ لَهُ لَللَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَى تُصْرَفُونَ» [الزمر: 6].

وقد قال علماء التفسير بأن عبارة «خلقاً من بعد خلق» تعني أن الإنسان يمر خلال عملية تخلقه بمراحل متتابعة فصلها القرآن في سورة المؤمنون (12-14) حيث قال عز وجل: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَفْثَةً فِي فَرْجٍ مَّكَيْنٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَمِنْ أَرْكَهَ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ».

كما روي عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: «من نطفة أمشاج قوله: «يعني ماء الرجل وماء المرأة إذا اجتماعا واختلطا ثم ينتقل بعد من طور إلى طور ومن حال إلى حال ومن لون إلى لون»، وهذا ما كشف عنه علم الأجنة الحديث في القرن الثامن عشر، تصديقاً لقوله تعالى: «وَلَنَخْلُقُنَّ نَبَأَهُ تَعْدَ حِينٍ».

وجه الإعجاز: وجه الإعجاز في الآيات القرآنية هو تقريرها صراحة بأن الإنسان يمر خلال تخلقه بمراحل متتابعة، وأنه لا يُخلق دفعة واحدة في صورة قزم، وهذا ما كشفت عنه دراسات علم الأجنة الحديث.

العلاقة بين القصص القرآني والأخلاق وتأثيرها في تربية الصحابة

■ لا ينتظم أمر الأمة إلا بمصلحين ورجال أعمال قائمين وفضلاء هادين لهم شروط معلومة وأخلاق معهودة



ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن وإن الله ليبغض الفاكش البغيء

رواه الترمذي وصححه الألباني

عنه قفرْفِهْمُ وَمَعْمَ لَهُ مَكْرُونٌ» [يوسف: 58].

6 – جودة الصورة والقوة المخلبة حتى تأتي بالاشياء تامة الوضوح: (إذ قال يوسف لأبيه يا أبت اني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين) [يوسف: 4].

7 – استعدادهم للعلم، وحبهم له، وتمكنه منه: «وَأَنْتَبَغْ مَلَأَ آبَائِي إِزْرَابِيمَ وَأَسْحَاقُ وَيَعْقُوبُ مَا كَانَ لَنَا أَنْ يُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَعَنَ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» [يوسف:38] «رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَكَفَلْتَنِي فِي تَوَابِلِ الْأَحْيَايِثِ قَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» [يوسف:101].

8 – شقيقته على الضعفاء وتواضعه مع جلال قدره وعلو منصبه، فخطاب الغيتين المسجونين بالتواضع فقال: «يا صاحبي السجن أَرَأَيْتَ مُتَقَرَّبُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ» [يوسف: 39] وحادثهما في أمور دينهما ودنياهما بقوله: «قال لا يأتينكما طعام ترزقانه الا أناأتكما فتأويله» [يوسف: 37] والثاني بقوله: «أني ترعّت ملة قوم لا يؤمنون بالله ومعهم بالآخرة هم كافرون» [يوسف:37] وبشهاد له بقولهما: «نُشْنِنَا مُتَوَاوِلَةً أَنَا تَرَاك مِنْ الْحَصِينِ» [يوسف:36].

9 – العفو مع القدرة: «قال لا ترتب عليّكم اليوم يفرّ الله لكم وهو أرحم الراحمين» [يوسف:92].

10 – أكرام العشرة: «أَصْبُوا بِقَبِيصِي هَذَا فَاقْوِهْ عَلَى وَجْهِ ابْنِي نَاتِ صَبِيحاً وَأَتُونِي بِأَفْئِكُمْ أَجْمَعِينَ» [يوسف: 93].

11 – قوة البيان والصفاة بتعبير رؤيا الملك، واقتداره على الأخذ بالقدرة الراعي والرعية والسوقة، ما كان هذا الا بالصفاة المبينة على الحكمة والعلم، فقلما قلّمه قال أنك اليوم لدينا مكيّ أمين» [يوسف: 54].

12 – حسن الترتيب «قال تَرَوْعُونَ شَيْعَ سِدْنٍ دَانَا فَمَا خَصَدْتُمْ فَذُرُّوا فِي سَبِيلِهِ الْآ قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ» [يوسف: 47] تالله، ما أجمل القرآن، وما أبهج العلم.

لا شك في أن العلاقة بين القصص القرآني والأخلاق متميزة: لأن من أهداف القصص القرآني التذكير بالأخلاق الرفيعة التي تقيّد الفرد، والأسرة، والجماعة والدولة، والأمة، والحضارة، كما أن من أهداف القصص القرآني التنفير من الأخلاق الذميمة التي تكون سبباً في هلاك الأمم والشعوب.

ان القصص القرآني غني بالمواظع والحكم والأصول العبدية، والتوجيهات الأخلاقية، والأساليب التربوية، والاعتبار بالأمم والشعوب، والقصص القرآني ليس أمورا تاريخية لا تقيد بالمؤرخين، وإنما هي أعلى وأشرف وأفضل من ذلك: فالقصص القرآني مملوء بالتوحيد، والعلم، ومكارم الأخلاق، والحجج العقلية، والتبصرة والتذكرة، والخلاصات العجيبة.

واضرب لك مثلا من قصة يوسف – عليه السلام – تماثلا في جانب الأخلاق التي عرضت في مشاهدنا الرائعة، قال علماء الأخلاق والحكاماء: «لا ينتظم أمر الأمة الا بمصلحين، ورجال أعمال قائمين.

وفضلاء مرشدين هادين، لهم شروط معلومة وأخلاق معهودة، فان كان القائم بالأعمال نبياَ فله أربعون خصلة ذكروها، كلها أداب وفضائل بها يسوس أمته، وان كان رئيسا فاضلا، اكتفوا بها الشروط الأربعين ببعضها، وسيدنا يوسف –عليه السلام– حاز من كمال المرسلين وجمال الأنبياء، ولقد جاء في سيرته هذه ما يتخذة علماء الأمم هدفا لاختيار الأفعاء في مهام الأعمال، إذ قد حاز الملك والنبوة، ونحن لا قبل لنا بالنبوة لانقطاعها، وإنما نذكر ما يليق بمقام رئاسة المدينة الفاضلة، ولندرك منها اثنتي عشرة خصلة هي أهم خصال رئيس المدينة الفاضلة، لتكون ذكرى لمن يتفكر في القرن وتنبهيا للمتعلمين الساعين للفضائل».

أهم ما شرطه الحكماء في رئيس المدينة الفاضلة: 1 – العفة عن الشهوات، ليضبط نفسه وتتوافر فيه النقيصة: «بكذا لنصرف عنه السوء والفحشاء أنه من عابدين المخلصين» [يوسف: 24].

2 – الحلم عند الغضب، ليضبط نفسه «قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل فاسترها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شئ تكاثروا والله أعلم بما تصفون» [يوسف: 77].

3 – وضع الدين في موضعه، والبسدة في موضعه: «ولما خبزه في جهازهم قال اتنوني بأخ لكم من بينكم الا ترون اني اوفي الكل وأنا خير المفضلين.فان لم تاتوني به فلا تكل لكم عذري ولا تقربون» [يوسف: 59، 60] فبداية الآية لين، ونهايتها للشدّة.

4 – تتهب بنفسه بالاعتماد على ربه: «قال اجعلني على خزائن الأرض اني خفت عليم» [يوسف: 55].

5 – قوة التذكّر، ليتمكنه تذكر ما غاب ومضى له سنون، ليضبط السياسات، ويعرف للناس أعمالهم: «وجاء أخوة يوسف فخلعوا